

## الفصل الخامس

### بحوث أدبية

١ - روائع الأدب المصري القديم

٢ - اللغة القبطية

## روائع الادب

### المصري القديم

المصريون من أقدم أمم الأرض عرافة في المجد وروحاً في المدنية . فقد استوطنوا وادي النيل قبل ميلاد المسيح بما لا يقل عن ثمانية آلاف سنة تقريباً ، وأقاموا الحضارة العظيمة التي بهرت أنظار العالم القديم وظلت مزدهرة حقبة طويلة من الزمن .

وإن آثارها الباقية حتى اليوم من أقدم الخلفات التي تركها الانسان الأول وليس من شك في أن المصري القديم قد صاغ تراثه الفكري في المؤلفات الأدبية بأسلوب جميل لا يدانيه ما ورثه أي شعب آخر من أسلافه .

ومن المؤلفات الأدبية الفرعونية ما يتصل بالآداب الدينية ، ومنها ما يتصل بالآداب الدنيوية . وسأقصر كلامي على دراسة الآداب الدنيوية في عصور وحدة مصر الزاهرة وعلى بعض عصور تفكك الوحدة .

كانت الآداب الدنيوية في عصور وحدة مصر الزاهرة تقوم إما على نوع من الأدب العملي الذي وصل إلينا في شكل حكم أو أمثال ، وإما على نوع آخر يعرف بالفول ، وإما على نوع ثالث يعرف بالادب القصصي .

فن أنواع الأدب العملي الذي وصل إلينا كالحكم والأمثال تعاليم الوزير بتاح حتب والوزير كاهني من عصر الوحدة الأولى ، وكتعاليم آني وإمن - إم - أوبي من عصر الوحدة الثالثة . وأما من عصر الوحدة الثانية فلدينا حكم وتعاليم من الملك امنمحات الأول لولي عهده سنوسرت .

وهي كلها تعاليم موجهة للشباب في قالب نصائح إلى أبناء الكتتاب السابق الذكر ، لتقويم أخلاقهم ودعوتهم للفضيلة وعمل الخير وحسن السلوك . وهناك مقتطفات من روائع

تلك التعاليم : -

## أولاً — التمسك بالصدق

« إذا كنت قائداً آمراً فأصع وراء كل كمال حتى لا يكون نقص في طبيعتك فإن الصدق جميل وقيمته خالدة — بتاح حطب »

« إن السكين ترهف لمن يميد عن الصدق — كاجني »

« قل الحق أمام القاضي — إسن — إم — اوبي »

## ثانياً — أدب السلوك في الضيافة

« إذا هيء لك الجلوس على مائدة من هو أكبر منك مقاماً فخذ ما يقدم لك مما هو أمامك ولا تنظرن إلى ما وضع أمامه ، بل انظر إلى ما وضع أمامك — بتاح حطب »

« إذا جلست مع أناس كثيرين فانظر إلى الطعام في غير شره أو اهتمام حتى وإن كنت تشتهيهِ، فإن ضبط النفس لا يكلف الإنسان أكثر من لحظة، وإنه لمن العار أن يكون الإنسان شرهاً فقدح ماء يروي الغلّة — كاجني »

## ثالثاً — التحذير من النساء

« إذا أردت أن تحتفظ بالصدقة لسيد أو أخ أو صاحب دخلت داره فاخذ الدنو من النساء فالآف من الرجال ذهبوا ضحيتها — بتاح حطب »

« هل حدث أن النساء اصطفن في ميدان الحرب ؟ — امنمجات »

« خذ حذرك من المرأة الأجنبية تلك التي ليست معروفة في بلدتها ولا تعرفن لها بعينك — آني »

## رابعاً — الحث على الزواج

« هيء لنفسك داراً واحبب زوجتك واجلب لها الطعام وامسك ظهرها وقدم لها العطور وادبك السرور في قلبها طيلة حياتك فهي حقل نافع لزوجها — بتاح حطب »

« اتخذ لنفسك زوجة وأنت لا تزال شاباً لتنجب لك ولداً ، ويجب أن تنتجبه لك وأنت لا تزال صغير السن . فما أصعب الرجل الكثير التامل ، فإنه يهتم بسبب أولاده — آني »

### خامساً — التحري عن أخلاق الأصدقاء

« إذا كنت تبحث عن أخلاق من تريد مصاحبته فلا تأمأته ولكن اقرب منه وكن معه وامتنع قلبه بالمحادثة ، فإذا أفضى شيئاً قد رآه أو أتى أمراً يجعلك تمجبل له فاحذر عندئذ حتى من أن تجيبه — بتاح حتب » .

### سادساً — الولاء للعرش

« إن الولد النجيب يقيم الحق وسيكون الملك مرتاحاً لك في كل ما يجري فقد بلغت العاشرة بعد المائة وحباني الملك بمكافأة تفوق كل مكافآت الأجداد لاني أقت العدل للملك — بتاح حتب » .

### سابعاً — سلوك الرئيس نحو مرعوسيه

« خذ الحذر من مرعوسيك ولا تنقم بأخ ولا تصغين لك خلافاً لأن ذلك لا فائدة منه وعندما تكون ناعماً كن الحارس لنفسك — امشحات » .

ومما خلقت مصر غير الأدب العمي الذي يبين مقدار تقدم التفكير البشري في هذه العصور السحيقة وما يقوم به من جهد في الفكر بجانب غزارة المادة العلمية فاننا نجد نوعاً آخر من الأدب يعرف بالنزل وقد رأينا عند الكلام على الموسيقى كيف أن الشاعر يصف في خياله الرائع انه كان مريضاً وعندما استدعي الطبيب لعيادته جاءت حبيبته فوسجت الطبيب لأنها أعلم بداء حبيبها ودوائه .

هذا فضلاً عن نوع ثالث من الأدب يعرف بالأدب القصصي يمتاز بالوصف والخيال وتصوير البلاد النائية كسوريا وبلاد البنت ( الصومال ) التي قام الكتّاب برحلاتهم إليها . وهالك مقتطفات من هذا الأدب على سبيل المثال لا الحصر :

﴿ قصة الفريق ﴾ — يرجع تاريخها الى عصر الوحدة الثانية ، أراد كاتب هذه القصة أن

يصور البلاد النائية التي كان يرتحل إليها وما فيها من عجائب فيقص انه كان مسافراً على ظهر سفينة إلى بعض الأصقاع الغنية بمعادنها ليؤدي رسالة ملكية ، وحدث أن هبت عاصفة عظيمة السفينة وغرقت بمن فيها ولم ينج إلا كاتب القصة بعد أن لاقى من الأهوال في بادئ أمره

ما لاقى حتى حملته الأمواج الى جزيرة فيها من عجائب المحاولات تعيان كبير له رأس إنسان .  
ثم ذكر على لسان ذلك الثعبان أنه أخذ يقص له مجازفة حدثت له وتشبه مجازفة كاتب  
هذه القصة بعد ان استقبله أحسن استقبال ويقول أن "عقينة معرية مرت بالجزيرة وحملته  
إلى أرض الوطن بخير وصلاح .

وبخلاف المظاهر التي امتاز بها الأدب في عصور الوحدة من حكم وأمثال إلى غزل  
وقصص ، نلاحظ أن "نجاح سياحة ملوك عصور وحدة مصر ، ووحدة وادي النيل لم يؤثر  
سلب في حياة البلاد الاقتصادية وزيادة الرخاء ، بل نجد نصوصاً أدبية تتحدث عن ورود  
الكثير من الخيرات .

ويرجع الفضل في هذا النجاح إلى عناية الملوك بشؤون الدولة وإسناد الوظائف والمراكر  
الهامة الى أشخاص يتمتعون بنقتهم إلى جانب كفاءتهم الممتازة . ومنهم من يتحدث فيشير  
إلى أنه كان صديق الملك فاستطاع أن يقوم بالمهام الموكولة إليه على الوجه الأكمل .

وطبيعي أن تبلغ البلاد أوج مجدها في عهد الوحدة بفضل التوافق الشعب حول ملك  
الوادي ملك مصر، وبفضل جيل الموظفين الذي عمل ملوك الوحدة على تنشئته ليلتف حول  
عرشهم وليكون لهم نصيراً، فنرى هؤلاء الموظفين حريصين على بث روح الطاعة والحببة لمليكتهم  
بين ذويهم فيسردون لهم ما أنعم به عليهم فرعون مصر من تقدير ، بل ويشبهون عطفه  
عليهم بعطف الوالدين، وأكثر من ذلك فقد شبهوه بالإله على الأرض .

وبدنا نرى النصوص الأدبية السالفة الذكر تبين لنا أن قوة الوطن تكون على أتمها حين  
يلتف شعب الوادي حول عرش ملك مصر ، رمز الوحدة والاتحاد ، والقوة والفضان الأول  
والأخير لكل مواطن وهو السبيل الى نيل المطالب وبلوغ الآمال، نرى نصوص عصر تفكك  
الوحدة تبين لنا أن هناك فوضى عامة امتدت الى كل نواحي الحياة المصرية كما أن "نصوصاً  
أخرى من عصر تفكك الوحدة تبين ضياع هيبة مصر في الأقطار الأخرى فليس أدل على  
ما كانت تعانيه مصر في عصر تفكك الوحدة الأولى من فوضى من أن الآثار الأدبية التي  
أنتجها هذا العصر كانت صدى لتلك الفوضى فتحوي الكثير من الأفكار التي تتمخض عنها  
هادة الثورات الاجتماعية والسياسية، ولنذكر مثلاً على ذلك نرى منه مناقشة بين رجل كره

الحياة وبين روحه وهي مكتوبة على بردية محفوظة الآن بمتحف برلين. وقد صور فيها كاتبها رجلاً بالأسا مثقلاً بهموم عصره لم يجد غير روحه يشكو اليها مصابه ، فأظهر لها رغبته في أن يضع حداً لحياته بأن يحرق نفسه . وقد ألت روحه في أن يخطو هذه الخطوة ولكنها امتنعت عن مرافقته في الانتحار لأنها خشيت أن يسوء مصيرها مع شخص فقير مثله لا قبر يأويه ، ولا خلف يقدمون له القرابين فتكون النتيجة أنها تصبح مهددة بالجوع والبرد والحرق ، ولكن بعد محاولات نجح الرجل في النهاية وأقنع روحه بالاندماج معه عند الموت ثم أحرق نفسه ومات .

وهناك نصوص وصلت اليها في أناشيد شعرية (١) منها : -

« الى من أتكم اليوم ، الاخوان شرّاً وأصدقاء اليوم ليسوا محبين

« الى من أتكم اليوم ، الناس يسرقون وكل انسان يغتصب متاع غيره .

« الى من أتكم اليوم ، اني متقل بالهموم وفي حاجة الى صديق وفي

« إلى من أتكم ، الرذيلة تضرب الأرض وليس لها نهاية »

وهناك نصوص معروفة بأغاني العواد منها : -

« امض اليوم في سعادة وحبور ، وانظر فلا أحد يستطيع أن يأخذ متاعه معه ، وانظر

فليس من يستطيع العود للحياة ثانية » .

فهذه الجملة الصغيرة تدلنا على ما تطرّق الى المصريين من الشك في تقاليدهم وعقائدهم

وحتى في عقيدة الخلود ، كما تدلنا على اتجاه المصري الى التمتع بالحياة المادية .

فبينما كانت النصوص السابقة تبين لنا الفوضى التي امتدت الى كل نواحي الحياة المصرية

في عصر تفكك الوحدة الأولى ، نجد أن قصة ونآمون تبين ضياع هيبة مصر في الاقطار

الأخرى في عصر تفكك الوحدة الثالثة بعد أن كانت مصر متمتعة بسلطان واسع في عصور

الوحدة بين أمم الشرق القديم .

(١) يمتاز الشعر بأوزان خاصة .

## اللغة القبطية

### نشأتها وتطورها

قبل أن نتحدث عن اللغة القبطية - نشأتها وتطورها - يجدر بنا أن نعرض لهذا اللفظ ومدلوله وأصله واشتقاقه لأن البحث عن أصل الكلمة يميّط اللثام عن معالم كثيرة تثير الطريق للباحث وتبعده عن الوقوع في خطأ . فلفظ ( قبطي ) نسبة إلى ( قبط ) . وهنا نرى ياء النسبة العربية . أما كلمة ( قبط ) فهي تحريف للفظ اليوناني والروماني الذي أطلقه اليونانيون والرومانيون من بعدهم على مصر والمصريين بعد حذف السابق ( أي ) واللاحق ( وص ) وبقيت كلمة - قبط - بالجيم المعطشة التي تنطق عادة ( ق ) ، لذلك كتبت الكلمة بها أي ( قبط ) بمعنى مصري . ولا شك في أن يونانية هذا اللفظ الخاص بمصر وشعبها لدلالة قوية على العلاقات القديمة التي كانت قائمة بين مصر واليونان ، فالتاريخ يحدثنا والآثار تؤيده ، على أن العلاقات اليونانية المصرية بدأت في أوائل الدولة الحديثة أي في عصر الوحدة الثالثة ( ١٥٨٠ - ١٠٨٥ ) ق . م . وذلك أن بعض الفراعنة استعان بالجنود اليونانيين المرتزقين في بعض حروبهم .

وأخذت هذه الصلة تنمو تدريجياً حتى إننا نجد تجارية في العصر الذي سبق حكم الفرس لمصر . وبعد دخول قبيلز عاهل الفرس البلاد نزح كثير من التجار اليونانيين وتبعهم عدد عظيم من علماء اليونان ومنكريهم الذين عنوا بدراسة تاريخ مصر وآثارها ودينها وأخلاق أهلها ، نذكر منهم هيرودوت المؤرخ وأفلاطون الفيلسوف وهوميروس الشاعر وأرفيوس الموسيقي وغيرهم . وهكذا أصبحت مصر كعبة القضاة من بلاد اليونان المختلفة من تجار وعلماء وجنود حتى أن ( إسماثيك الأول ) مؤسس الأسرة السادسة والعشرين وأول ملك من ملوك عصر الوحدة الرابعة منح الجالية اليونانية جزاء المساعدة التي قدمها له جنود

اليونان بعض الاجزاء من البلاد لتكون خاصة بهم وبأسراتهم من بعدهم، كالحلي الخصاص باليونانيين في بلدة منف وفي بلدة دفتة . ثم في عصر الملك أحسن الثاني خصصت لهم مدينة ( نوقراتيس ) وموقعها الحالي بالقرب من صفت الملوك .

لذلك لا نعجب أن نرى بعد ذلك شعب مصر يرحب بقدوم الاسكندر ويرسم كهنة آمون له ابناً لكبير آلهتهم آمون ومنحه سائر الألقاب الفرعونية الخمسة . توفي الاسكندر وورثه البطالمة فأخذت الصلة بين مصر واليونان تقوى حتى صارت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية الى جانب القبطية .

وقد بقيت كذلك حتى دخول العرب مصر وتعدت العلاقات الثقافية الى السياسة إذ أصبحت مصر تحت حكم اليونان مدة طويلة ( ٣٣٢ ق . م . الى ٣٠ ق . م . ) . وكانت هذه المدة الطويلة كافية لتوثيق العلاقات بين الشعبين المصري واليوناني ، وكافية أيضاً لأن يلمس المصريون الفرق بين الكتابتين اليونانية والمصرية القديمة متمثلة في الهيروغليفية والهيروغليفية والديموطيقية ، فبينما الكتابة اليونانية ، وإن كانت من أصل مصري ، تتطور وتصبح أكثر ملاءمة للحياة في ذلك الوقت ، إذ بالمصرية تبقى محافظة على صورها وأشكالها القديمة المختلفة . لذلك شعر المصريون بالحاجة القصوى الى وجوب المدول عن الكتابة المصرية القديمة الى الأبجدية اليونانية التي كان المصريون قد أخذوا في استعمالها بخاصة في كتابة أسماء الأعلام . ثم قاد هذه الحركة فيما بعد العالم الاسكندري ( بونثينوس ) وتلاميذه المصريون حوالي أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني للميلاد . فقد تقهقروا الاملاء القبطي وكتبوا اللغة في الأبجدية اليونانية البالغ عدد حروفها أربعة وعشرين ، وأضافوا اليها سبعة حروف وهي ( شاي وفاي وخاي وهوري وجنجا وكشياوتي ) أخذت من الديموطيقية لعدم وجود أصواتها في اليونانية . ثم أضافوا حرفاً آخر وهو ( صو ) الذي يستعمل للدلالة على العدد « ٦ » كما هو الحال في اليونانية . ومن حسن الحظ أن حفظ لنا التاريخ بعض الكتابات القبطية القديمة التي ترجع الى العهد الذي لم يكن قد اعترف فيه بعد بالمسيحية ديناً رسمياً للدولة بالرغم من دخول المسيحية البلاد أيام حكم نيرون على يد القديس برنارس عام ٥٤ م

ومن أشهر هذه الكتابات البردية التي طبعها العلامه ( جريفت )<sup>(١)</sup> والنص المحفوظ  
بمتحف اللوفر ونشره ( ارمان )<sup>(٢)</sup> فهذا النص يماثلان أموراً تتصل بالسحر والفتك لا  
علاقة لها بالمسيحية بتاتاً . ففي البردية الأولى نجد ذكراً لنجم السعد ، وآخر لنجم النجس ، كما  
يوجد في النصين دلالاً إلى أوزيريس إله الموتى ، وأوزيريس إله العجائز وريح أوزيريس وغير  
هذه الكتابات عثر في الحميم على بطاقات المومياء يرجع تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي  
وبعضها مؤرخ بالعلم الرابع من حكم الامبراطور هادريان وقد نشرها ( ستيندورف )<sup>(٣)</sup> .  
وكما تقدم بنا العهد نجد المسيحية تثبتت في مصر فتنهزم أمامها الوثنية ويضطر الامبراطور  
قسطنطين إلى الاعتراف بها ديناً رسمياً له والدولة حوالي عام ٣٢٥ م . وحوال خلفه بعض  
المعابد المصرية القديمة إلى كنائس ، كما أغلق الباقي منها . ثم جاء الامبراطور ( جوستينيان )  
فأرسل قائده ( زوسيس ) إلى جزيرة الفيلة حيث قضى على البقية الباقية من عبادة اوزيريس  
وأوزيريس . وهكذا ترى المسيحية تعز بعد أن قدمت من إنشائها الشهداء الكثيرين  
أيام حكم ( دوقلسيان ) حوالي عام ٣٨٤ م . فأصبحت مصر بعد ذلك معقلاً للمسيحية  
ووطناً لديرورة والرهينة ، واستطاع الأقباط أن يخلقوا فنناً قبطياً متأثراً باليوناني حيناً  
وبالفرعوني حيناً آخر .

\*\*\*

أما اللغة القبطية وآدابها فقد استمرت حيّة حتى القرن العاشر الميلادي بدليل أننا نجد  
الاستقف ساويرس بن المقفع يقول ما معناه إن القلم العربي عرف عند أهل الديار المصرية كما  
إننا نعرف من جهة أخرى أن كثيراً من العرب عرفوا اللغة القبطية حتى نجد في أوائل  
الحكم العربي لغة الدواوين القبطية أو اليونانية . وظلت اللغة القبطية اللغة الرسمية لمصر حتى

(١) F. L. L. Griffith, The old Coptic Horoscope of the Stobar Collection, Aeg. Z. 38, pp. 71-85

(٢) A. Erman, Die aeg. Beschwoerungen des grossen Pariser Zauberpapyrus, Aeg. Z. 1883, p. 89

(٣) Steindorff, Aeg. Z. 1890, p. 49 : Die Mumiens Etiketten

عهد عبد الله أخ الوليد بن عبد الملك بن مروان . الذي أحلّ العربية محلها سنة ٧١٤ م .  
ولما كانت سنة ٩٩٧ م قام الحاكم بأمر الله بن عبد الميرز أحد ملوك الفاطميين وأمر بإبطال  
لغة حية . واللغة القبطية كغيرها من اللغات تنقسم إلى لهجات . وقد ظهر ذلك جلياً عند  
استخدام الأبجدية اليونانية لاستخدام الحروف الصائتة إلى جانب الصامتة ( المتحركة )  
والساكنة ( بخلاف الجاري في اللغات السامية التي تكتفي بالحروف الصامتة فقط . ونحن  
نستطيع أن نفرق بين خمس لهجات في القبطية ولانستطيع أن نجزم بوجود أكثر من لهجتين  
في العصر الفرعوني . وأشهر اللهجات القبطية هي :

أولاً — البحرية التي كانت أصلاً لهجة الاسكندرية حاصمة مصر الرسمية ، أيام اليونان  
والرومان ، وما جاورها في الوجه البحري . وما زاد في انتشار هذه اللهجة انتقال بعلبة  
الاسكندرية إلى ( بابلون ) أي القسطنطينية أو مصر القديمة ، ثم إلى القاهرة واستخدامهم اللهجة  
البحرية كلغة رسمية للكنيسة . وما تزال هذه اللهجة مستعملة إلى اليوم فقط في العبادات  
في الكنائس الأرثوذكسية وبين قليل من الأسر ، ويلاحظ أنها أكثر اللهجات تأثراً  
بالمفردات اليونانية أقربها من مواطن الثقافة اليونانية .

وإنما لا ننكر أن هناك بعض كلمات دخيلة يونانية في اللغة القبطية ولكن هذه الظاهرة  
ظاهرة دخول كلمات أجنبية في اللغة المصرية القديمة نجدها في عصر وحدة مصر الثالثة . فبعد  
غزوة الهيكسوس لمصر دخلت كلمات كنعانية كثيرة في اللغة المصرية القديمة وهذا لم يخرج  
اللغة عن صفتها المصرية .

ثانياً — اللهجة الصعيدية وهي لغة أهل طيبة ( الأقصر ) ومعظم سكان الصعيد الأعلى

ثالثاً — اللهجة الأخمسية وهي خاصة بأهل أخميم وأقرب اللهجات إلى المصرية القديمة  
وأبعدها تأثراً بمفردات اللغة اليونانية . وذلك لبعدها عن الأوساط الأجنبية .

رابعاً — اللهجة الفيومية وهي لغة سكان الفيوم وما جاورها من البلدان .

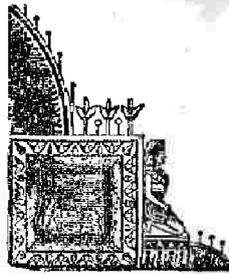
\*\*\*

هذه نظرة عاجلة عرضت فيها لغة القبطية نشأتها وتطورها كما بينت أن لفظ « قبطي » هو

اسمٌ يطلق على أبناء مصر مسيحييها ومسلميها .

وذكر هنا حتمية يجهلها بعض العلماء إذ يظنون أن آداب اللغة القبطية دينية محضة .  
والواقع غير ذلك ، فهي إلى جانب ما حملت به هذه الآداب من صير القديسين والبطارقة  
والأناجيل لم تقف عند الجانب الديني فحسب بل تناولت الجانب الدنيوي .  
فهناك نصوص تتعلق بالتاريخ وبالقانون كعقود البيع أو الميراث وبالرمائل والسكران  
وما يختص منها بالضرائب أو التجارة ، كما أن هناك نصوصاً دنيوية أخرى تتصل بالفلك  
والسحر والطب (١)

وهنا أرى أن من الصواب تسمية اللغة القبطية باللغة المصرية القديمة في آخر مرحلة من  
مراحل تطورها وإن كانت مكتوبة بالخط القبطي الذي هو مزيج من الأبجدية اليونانية  
والديوثيكية ، فأما ما مثل في العصر الحديث هو أن اللغة التركية في حالتها الأولى وهي  
كتابتها بالحروف العربية ، والثانية وهي كتابتها بالحروف اللاتينية لم يمنع ذلك من إطلاق  
اسم التركية عليها .



(١) نجد أيضاً أصول اللغة القبطية متشعبة من العصر الفرعوني فثبات من المفردات القبطية التي يستعملها  
المصري في التعبير عن حاجة الفرد في حياته اليومية من مأكل وملبس ومشرب وما إلى ذلك من مرافق  
الحياة في الزراعة وغيرها ترجع أصولها إلى اللغة الفرعونية المصرية ، كما أن أصول نحو اللغة القبطية كأدوات  
التذكير والتأنيث والغمائر ترجع إلى نحو وأجرومية اللغة المصرية الفرعونية